Association of Arab Universities Journal for Arts مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب

Volume 20 | Issue 1 Article 6

2023

Jerusalemite Passions in the Poetry of the Crusades (Victory)

Ibrahim N. Mousa
Professor of Modern Literature and Criticism, Department of Arabic Language and Literature, Bir Zeit University, Ramallah, Palestine

Follow this and additional works at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/aauja

Part of the Arabic Language and Literature Commons

Recommended Citation

Mousa, Ibrahim N. (2023) "Jerusalemite Passions in the Poetry of the Crusades (Victory)," *Association of Arab Universities Journal for Arts مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب*: Vol. 20: Iss. 1, Article 6.
Available at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/aauja/vol20/iss1/6

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Association of Arab Universities Journal for Arts مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب by an authorized editor. The journal is hosted on Digital Commons, an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aaru.edu.jo, marah@aaru.edu.jo, u.murad@aaru.edu.jo.

مجلة اتّحاد الجامعات العربيّة للآداب المجلد 20 العدد 1، 2023، ص ص 181- 205

مواجـد مقدسيّـة في شعـر الحروب الفرنجيّة
(الانتصار)

إبراهيم نمر موسى*

https://doi.org/10.51405/20.1.6

تاريخ الاستلام 2022/6/7 تاريخ القبول 2022/11/10

ملخّص

يدرس البحث (مواجد) القدس والشعراء، بكل ما يحمله جذر الكلمة من معاني الحب والشكوى، والحزن والغضب، والظَفَر، وهي المعاني الدينية، والواقعية، والنفسية/ العاطفية، التي دارت حولها معظم قصائد الشعراء تبعاً للمراحل التي مرّت بها القدس، ولكنّ البحث اقتصر على محور الانتصار الذي تجلّى في مبحثين اثنين، هما: رسم خطط الفتوح، وتصوّر الفتح وتصوير الفاتح.

يقارب الباحث موضوعه مقاربة نقدية تحليلية مستعيناً بأحداث التاريخ؛ للكشف عن مواجد الشعراء وعواطفهم تجاه مدينة القدس المباركة، وتحريض الحكّام والأمراء على فتحها، وقد ساروا في ذلك سيراً حثيثاً متدرّجاً بما يناسب كل مرحلة، وكان بعضهم أشبه بالخبير الإستراتيجي الذي يحدد مكامن الخطر وأبعاده الجغرافية لاستثمار الفرصة المؤاتية للفتح، ولكن بعد ظهور القادة العظام حمل التحريض صفة الدفاع عن الإسلام والمسلمين في طول البلاد وعرضها حتى تسنّى لصلاح الدين الأيوبي فتح القدس، فانطلقت ألسنة الشعراء تتغنّى بالفتح وتمجّد الفاتح، وترسم له صورة واضحة القسمات في قلوب الناس وعقولهم، تزخر حبّاً، وتمتلئ شكراً وحمداً لما يسّره الله من الفتح العظيم، وقد ظهر هذا جلياً في وعي الشعراء بقيمتها الدينية والحضارية، وانعكس في قصائدهم في صورة حوار للذات مع الواقع التاريخي، لكنه اتخذ بحكم أدبيته مساراً جماعياً قادراً على اكتشاف الذات والعالم، مما خلق مجالاً حيوياً للتفاعل بين الشعراء ونبض الجماعة، وأحلامها المشروعة في صنع مستقبل أفضل.

الكلمات المفتاحيّة: القدس، الحروب الفرنجية، خطط الفتح، الفاتح.

© جميع الحقوق محفوظة لجمعيّة كلّيّات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتّحاد الجامعات العربيّة 2023.

* أستاذ الأدب والنقد الحديث، دائرة اللغة العربية وآدابها، جامعة بير زيت، رام الله، فلسطين.

Published by Arab Journals Platform, 2023

مدخـل

بدأت الدعوة للحروب الفرنجيّة في حشد غفير من الناس في مجمع (كليرمونت) بفرنسا في نوفمبر/ تشرين الثاني سنة 488هـ/1095م، بالدعوة إلى وقف الاقتتال الداخلي والحروب الطاحنة بين ملوك أوروبا، وتحويله إلى قتال في الشرق، وقد انتشرت هذه الدعوة في أرجاء أوروبا كانتشار النار في الهشيم؛ لأنها أغرت نفوس أمراء طامعين بالإقطاع والحكم، ورغبت العامة في التخلص من الجوع ونقص الغلال، وفقدان الأمن للسفر إلى بلاد تفيض لبناً وعسلاً رغبة في الخلاص في الدنيا والآخرة.

وهكذا اشتعلت أوروبا في العصور الوسطى حماسة، وأسبغت بركة الخلاص على كل راغب في القيام برحلة الحج المسلّحة إلى الشرق بعامة، وبيت المقدس بخاصة، فاستغل بطرس الناسك ثورة العاطفة الدينية، وبدأ يطوف بمدن أوروبا وقراها على حماره داعياً المؤمنين المسيحيين للانضمام إلى صفوف حملته الشعبية الأولى، حتى تجمّع معه من الفقراء والضعفاء، والرجال والنساء والأطفال ما يربو على مئة ألف، انتهى أمرهم جميعاً بكمين أعدّه لهم السلاجقة، وتمكّن بطرس الناسك من النجاة بنفسه والهرب إلى القسطنطينية، "وهكذا فشلت الحملة الشعبيةة التي قادها بطرس الناسك، ووئدت قبل أن ترى عيون أصحابها نور الأرض المقدّسة، وقد أجمع المؤرّخون على أنّ سبب فشلها، يعود إلى عدم أهلية قادتها وخصوصاً بطرس الناسك، وإلى قلّة تنظيمها"[(1)].

وعندما وصلت الحملة الرسمية الأولى إلى بلاد الشرق، توجّه قسم من الجيش الفرنجي بقيادة (بلدوين) إلى مدينة الرّها، على رأس قوة صغيرة من ثمانين فارساً، واستولى عليها بعد خيانة حاكمها (ثوروس) الأرمني الذي سلّم المدينة دون قتال، وكانت فرحة أهل الرّها وحاكمها فرحة عظيمة[(2)]. كما توجّه القسم الأكبر من الجيش بقيادة (بوهمند) النورمندي إلى مدينة أنطاكيا المحصّنة، وضربوا عليها حصاراً مشدداً، وبقي الحصار مستمراً سبعة أشهر أبلى فيها الجند الإسلامي بلاءً حسناً في الدفاع عن المدينة إلا أنها في نهاية المطاف سقطت في أيديهم بعد خيانة (نيروز) المكلّف بقيادة حماية الأسوار[(3)]، ثم سار قسم من الجيش بقيادة (ريموند) و(بوهمند) إلى معرّة النعمان واستولوا عليها بعد قتل مئة ألف مسلم حسب بعض الروايات التاريخية.

ثم توالت انتصارات الجيش الفرنجي بالاستيلاء على بيروت وصيدا وصور وغيرها من مدن الساحل اللبناني والفلسطيني، مما شجّعهم على أن يشقّوا طريقهم صوب القدس، التي كانت آنذاك تحت حكم الفاطميين، فتجمّع الجيش بقضّه وقضيضه بالقرب من تخوم القدس، بعد أن استعد مادياً ومعنوياً للمعركة الفاصلة، فحاصرها وشنّ عليها هجوماً من جميع النواحي، لكنه لم يتمكّن

من دخولها، بل وألحق المسلمون بصفوفه خسائر فادحة، فأدرك قادته صعوبة الاستيلاء عليها، فزادوا من استعداداتهم الحربية بآلات الحصار كالسلالم، والمنجنيقات، ونصبوا برجين خشبيين عاليين كسوهما بالجلود الرّطبة حتى يصعب احتراقها، واستمر الحصار نيّفاً وأربعين يوماً[4].

وبالرغم من دفاع المسلمين عن مدينتهم ببسالة، إلا أن الفرنجة شنّوا هجوماً عنيفاً استطاعوا بعده إحداث ثغرة في سور المدينة بآلات الحصار والنقب، فلم يستطع الحراس البقاء في أماكنهم وتقهقروا منكفئين إلى داخل المدينة، وبعد مقاومة عنيفة من حُماة الأسوار الأخرى للمدينة، تم للجيش الفرنجي احتلال القدس من جهة الشمال يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان سنة 492هـ/ الموافق 15 يوليو 1099م، وبدأوا بملاحقة المسلمين وذبحهم، وقد اختلفت الروايات التاريخية الفرنجية في عددهم، ما بين عشرة آلاف، أو ثلاثين ألفاً[5]، أما الروايات التاريخية الإسلامية فتشير إلى "قتل الفرنج بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفاً"[6]، ثم توّج الملك (بلدوين الأول) أمير الرّها ملكاً على القدس، وانتهى ذلك كلّه بتأسيس أربع إمارات إفرنجية رئيسة في قلب العالم الإسلامي هي: الرّها، وأنطاكية، وطرابلس، والقدس.

1- رسم خطط الفتوح

عندما تجاوز المسلمون حالة اليأس الشديد من تحقيق انتصار على الفرنجة بسبب المنازعات السياسية، والخلافات المذهبية بين أمراء المسلمين أثناء الحملة الأولى، بدأ الشعراء يعبّرون عن عواطف الأمة أصدق تعبير، ويترجمون عن إحساساتها وما تنطوي عليه جوانحها في تحرير البلاد الإسلامية بعد ظهور القادة العظام أمثال عماد الدين زنكي، ونور الدين محمود، وصلاح الدين الأيوبي، الذين ساروا وفق إستراتيجية سياسية وحربية تدعو إلى الوحدة، وتحقيق العدل، فكان ذلك مؤشراً حاسماً في مدّ إسلامي مهاجم، وجزر إفرنجي مدافع.

استطاع هؤلاء القادة العظام أن يوقعوا بالفرنجة الهزيمة تلو الهزيمة، فازداد الأمل لدى المسلمين في تحرير المدن الإسلامية من أيدي المغتصبين بعامة، والقدس الشريف بخاصة، التي شكّلت محوراً أساسياً في التحريض على فتحها في كل مراحل الجهاد، وقد سار الشعراء في هذا الاتجاه سيراً حثيثاً متدرّجاً بما يناسب كل مرحلة، وما يتطلبه الاندفاع الحماسي والفوران العاطفي مرة، أو إدراك المعطيات العسكرية المحسوبة مرة أخرى، التي تنبّه القادة وتحثهم على هذه المدينة أو تلك، أو هذا الحصن أو ذاك، وكان بعضهم أشبه بالخبير الإستراتيجي الذي يحدد مكامن الخطر وأبعاده الجغرافية على المدن الإسلامية بسبب المكانة الدينية، أو مصدر القوة وتجمّع فلول الفرنجة، أو تحقيق التواصل والوحدة، أو قطع طريق المواصلات أمام الإمدادات العسكرية، أو استثمار الفرصة المؤاتية للفتح ... إلخ، وإذا وازنّا بين هذه المرحلة والمرحلة الأولى للحروب سنجد أن التحريض اتخذ في المرحلة الأولى "صبغة وطنية محضة، ونزعة قومية

صرفة، ومحاولة استثارة أمير من الأمراء عن طريق ذكر الأعراض والحرمات، والدعوة إلى الدفاع عن النساء والأطفال. وقد اقتنع الشعراء في ذلك العهد بالوقوف عند هذا الحدّ، ولم يطمعوا في أكثر من هذا"[7]، كما كان أشبه بالعتاب من إهمال الدفاع عن البلاد، ولكن بعد ظهور القادة العظام حمل التحريض صفة الجهاد والدفاع عن الإسلام والمسلمين في طول البلاد وعرضها، ومن ذلك قصيدة ابن القيسراني في مدح جمال الدين وزير الموصل يهنئه بفتح مدينة الرّها بيد عماد الدين زنكي، ويحرّضه على فتح المدن الساحلية. يقول:

أمَـا آنَ أنْ يَـزهـــقَ الباطـلُ وأنْ يُنجزَ العِدَةَ الماطـلُ

وهـل يمنـــــعُ الدّين إلا فتـى يصولُ انتقاماً فَيستاصِـلُ

فإنْ يَـــكُ فتـــــحُ الرُها لُجَّةً فساحلُها القدسُ والسّاحلُ

أرى القُمْصَ يَأملُ فوتَ الرّمـاحِ ولا بدّ أن تُضْـــرَبَ الشّائِلُ

يُقـــوّي مَعاقلَـــهُ جاهِـــداً وهل عاقـــلٌ بعدها عاقِـلُ[8]

إنّ إعادة الرّها إلى حكم المسلمين كان ضربة قاصمة للفرنجة؛ لأنها "أشرف المدن عند النصارى وأعظمها محلاً، وهي إحدى الكراسي عندهم، فأشرفها البيت المقدّس، ثم أنطاكية، ثم روميّة وقسطنطينية والرّها"[9]، وقد عاش المسلمون في الرّها في شرّ عظيم بعد أن ملك الفرنجة من ماردين إلى الفرات، فأنف عماد الدين من ذلك، وبدأ بإعمال الحيلة والخداع بانشغاله بديار بكر، فلما رأى (جوسلين) اشتغاله بها فارق الرّها إلى أملاكه في الشام، فانقض عليها عماد الدين وفتحها بعد ثمانية وعشرين يوماً من حصارها، وفي غمرة الفرح ونشوة الانتصار نرى الشاعر يعدّ فتح الرّها مقدّمة لفتح القدس والمدن الشامية الساحلية؛ ويحرّض عماد الدين على فتح القدس لأهميتها الدينية، ولكون المدن الساحلية موانئ حيوية لقدوم النجدات من أوروبا لقتال المسلمين، فقد تواترت الأخبار بعد ذلك بوصول مئة ألف مقاتل بمراكبهم إلى صور وعكا، ورأى أن السير إلى القدس أو الساحل الشامي سيكون مغامرة غير محسوبة العواقب سياسياً وعسكرياً، فاكتفى من الغنيمة بالرّها في بادئ الأمر، وهي من أعظم انتصارات المسلمين، وأشقها على نفوس الفرنجة آنذاك "لا بسبب المكانة الدينية التي تتمتع بها هذه المدينة في تاريخ المسيحية فحسب، بل لأنها كانت أيضاً أول إمارة أسسها الصليبيون في الشرق، فجاء سقوطها إيذاناً بترنّح البناء الصليبي الكبير الذي نجحت الحملة الصليبية الأولى في إقامته بالشرق. لذلك أدرك الغرب الأوروبي أنه إن لم يسرع إلى ترميم ذلك البناء ومساندته، فإنه لن يلبث أن ينهار بأكمله"[10].

كما تنم الأبيات عن بعد درامي واقعي، يكشف عن خبايا الذات الشاعرة في نفثات حارة بمعيّنات ومقوّمات لغوية ودلالية تجدّل الخاص بالعام، وتمزج الماضي بالحاضر رغبة في استشراف المستقبل الذي تطمح الأمة إلى تحقيقه واقعاً عملياً، ونهجاً رؤيوياً، وخير ما يمثّل ذلك كله الدال اللغوي في البيت الثاني "لجّة"، واللجّة هي معظم البحر وتردد أمواجه، وإذا كانت الرّها كذلك فإنّ ساحلها القدس، فهي كالبحر وساحله في علاقة اتحادية حلولية تنصهر فيها الأماكن ويصبح الكل في واحد بالمفهوم الصوفي؛ وبذلك يكون الشاعر قد ارتفع بالأماكن إلى مصاف القيمة الجمالية الشاملة، العامرة بالفجيعة والحلم المنتظر.

بقي التحريض ورسم خطط الفتوح مستمراً على نهجه السابق في زمن عماد الدين زنكي، بل وجدناه يزداد قوة وحضوراً في القصائد الشعرية، ويكثر الشعراء الذين يدعون إليه في زمن نور الدين محمود مثل: العماد الأصفهاني، وابن منير الطرابلسي، وابن القيسراني، وطلائع بن رزّيك وغيرهم، وقد شكّلت القدس في ذلك كله قاسماً مشتركاً، وبؤرة مركزية تتحلق حولها الدلالات، وترتكز عليها القصائد في أهم مفاصلها البنائية، وتستدعيها كلما فتح نور الدين مدينة أو قلعة أو حصناً في شرق البلاد وغربها، ومن ذلك قصيدة العماد الأصفهاني في مدح أسد الدين شيركوه قائد الجيش النوري/ الحلبي بعد الاستيلاء على مصر سنة 564هـ/1169م، حيث يدعوه فيها إلى استمرار السير إلى بيت المقدس، مقتبساً من قصيدة أبي تمّام في فتح عمّوريّة، يقول:

بالجدِّ أدركـــتَ ما أدركتَ لا اللّعبِ ... كـــم راحـــةٍ جُنيـــتْ مِنْ دوحةِ التّعبِ

فتحتَ مصرَ فأرجـو أنْ تَصيرَ بهـا ... مُيَسّراً فتـــــحَ بيتِ القـــدسِ عن كَثَبِ

قد أمكنتْ أسدَ الدّينِ الفَريسةُ مـن ... فتحِ البلاد، فبـــادرْ نحوهـــــا وَثِبِ

وإنّ ذلـــكَ عنـــدَ اللهِ مُحتَســبٌ ... في الحَشْـــرِ مِن أفضلِ الطّاعاتِ والقُرَبِ[11]

ومن ذلك أيضاً قصيدته حين أخذ نور الدين قلعة منبج من صاحبها الأمير غازي بعد أن أقطعه إياها وساءت أفعاله، فقال العماد مادحاً نور الدين:

بُشرى المَمالكِ فتحُ قلعةِ مَنْبجِ ... فَلْيَهْن هـذا النَّصرُ كُلَّ مُتوَّجِ

أعطيتَ هـذا الفتحَ مِفتاحاً بـــه ... في المُلكِ يَفتحُ كلَّ بابٍ مُرْتَجِ

وافى يُبشّـــرُ بالفُتـــوحِ وراءه ... فانهضْ إليها بالجيوشِ وعَرِّجِ

أبشرْ فَبيتُ القدسِ يتلـو مَنْبِجـاً ... ولَمنْبجٌ لسواه كالأُنْمُـــوذجِ

فانهدْ إلى البيتِ المقدّسِ غازياً وعلى طَرَابُلس ونَابُلـــس عُجِ

قد سِرْتَ في الإسلامِ أحسنَ سيرةٍ مأثورةٍ وسلكتَ أوضحَ مَنْهـجِ[12]

شكّل فتح القدس في خلد العماد الأصفهاني هاجساً دينياً وشعرياً، بحيث تتداعى في مخيلته الشعرية وذاكرته الفردية والجمعيّة بعد كل انتصار أو فتح إسلامي، وكان فتح القدس أعز أمانيه وأغلاها، كما كان يتحرّق شوقاً إلى تخليصها من براثن الاحتلال المقيت، وكأنه يعيش بها وفيها ومن أجلها، وقد استولى ذلك على قلبه وسائر جوانحه استيلاء عظيماً، فكان أكثر الشعراء استحضاراً لهذا المطلب الجليل في رسم خطط الفتوح، ولا غرابة في ذلك فهو مفكّر سياسي، وخبير عسكري إستراتيجي في الدولتين النورية والصلاحية.

إنّ استبشار الشاعر بفتح القدس بعد فتح قلعة منبج، استهلال محمود، وفتح لباب موصود سيلج من خلاله نور الدين إلى تحقيق فتوحات عظيمة، ستكون بشرى للإسلام والمسلمين في بقاع الأرض تخلّد سيرته، وتحيي مآثره على مرور الأيام ومكرور الأزمان؛ لذلك يوظف الشاعر أساليب فنية متعددة تخدم غرضه في الحث والتحريض لفتح مغاليق القدس، حتى إذا انتهى من أمر فتحه - شعرياً - حثّه على فتح طرابلس ونابلس، ومن أهم هذه الأساليب في سياق الأبيات/ القصيدة توظيف أسلوب الأمر في قوله: "انهض-انهد"، الذي يخرج على مقتضى الظاهر للدلالة على الدعاء "وهو الطلب على سبيل الاستغاثة والعون والتضرّع ... ويسميه ابن فارس "المسألة"، وهو يكون بكل صيغة للأمر يخاطب بها الأدنى من هو أعلى منه منزلة وشأناً"[13]، كما أنه يحمل بين طياته معنى النصح والإرشاد، ينضاف إلى ذلك ما بين الفعلين من جناس ناقص يوجّه الخطاب الشعري، ويرشّح السياق للانفتاح الدلالي، ذلك أن "النهوض" يدل في معاجم اللغة على القيام اليقظ النشيط، والتحرّك السريع لملاقاة العدو ومقاومته، أما "النهود" فيدل على البروز والارتفاع، والصمود والشروع في قتال العدو[14]، وهي معان تتضافر مع التجربة الشعرية وغرض القصيدة العام.

وإذا كانت المدن الإسلامية في الأبيات السابقة قد تماهت، فذابت الفوارق المكانية بين مصر ومنبج وطرابلس ونابلس والقدس، إذ يؤدي فتح إحداها إلى فتح الأخرى بوصفها مدناً إسلامية، فإنّ عمارة اليمني في مدحه لصلاح الدين يعرّج في قصيدته على ذكر متواليات مكانية، تستوجب فتح جنوب فلسطين من غزة إلى عسقلان فالخليل فبيت المقدس؛ لتصبح مدن الشام قاطبة بعد ذلك قد سلّمته مفاتيح أبوابها. يقول:

فؤادٌ بنارِ الشّوقِ والوجدِ مُحْرَقُ أراقَ كَـــــرى الأجفانِ وهو مؤرّقُ

لعلّ بنـــي أيوبَ إنْ علموا بما تظلّمـــــــتُ منه أنْ يَرِقّوا ويُشفِقوا

وزاروا مُصلّى عَسقــلانَ بأرعنٍ	يفيضُ إنـــــــاءُ البرِّ منه ويَفهقُ
أضفتَ إلى أجرِ الجِهادِ زيارةَ الـ	خليـلِ فأبشـــــــرْ أنت غـازٍ مُوفَّقُ
وهيّجتَ للبيتِ المُقــدّسِ لوعةً	يَطولُ بها منه إليـــــــكَ التَشوّقُ
تَنَشّقُ مِن مَلقاكَ أعطــرُ نفحةٍ	تطيـبُ على قلـبِ الهُـدى حيـن تُنشـقُ
وغزْوكَ هـذا سُلّـمُ نحـــو فتحِه	قريبـــــاً، وإلا رائـــــدٌ ومُطَـرّقُ
هو البيــتُ إنْ تَفتحْه واللهُ فاعلٌ	فمـــا بعــده بـابٌ مِن الشـامِ مُغلقُ[15]

تزخر الأبيات/ القصيدة بكثافة مكانية، تكشف عن إدراك الشاعر ووعيه بحقيقة الحاضر والمستقبل، بإزالة الخطر الذي يتهدد هذه الأماكن في ذاتها بوصفها شرطاً لفتح القدس ومن ثم بلاد الشام، وهو في ذلك يرسم خطة مرحلية متوثبة ذات حركة دائبة لا تعرف الكلل أو الملل في استرداد المدن الإسلامية، ولكي يتم ذلك الأمر لا بد من فتح الطريق وتأمينها عسكرياً أمام الجيش الصلاحي المصري للمسير إلى القدس، فضلاً عن أن غزة وعسقلان والخليل التي تقع على خطوط المواصلات سيكون أمرها أيسر وأهون من مدينة صور مثلاً؛ وبذلك تكون الفائدة مزدوجة، وقدّر الله جل وعلا لصلاح الدين في هذه الحركة العسكرية أن يفتح أكثر من عشرين مدينة وحصناً قبل فتح القدس، كما استطاع فتح أكثر من خمسين مدينة وحصناً في سنة فتح القدس، منها مدن ساحلية شامية، وأخرى قريبة أو محيطة بالقدس مثل: الداروم، وسنجل، وبيت جبريل، والخليل، وبيت لحم، واللد، والرملة، فأصبحت "البشارة بفتح القدس لا تتأخر، والهمم بعد هذا الفتح السني على ذلك تتوفر"[16]، كما ذكر أبو شامة أيضاً برواية العماد الأصفهاني قائلاً: "رحل السلطان من عسقلان إلى القدس طالباً، وبالعزم غالباً، وللنصر مصاحباً، ولذيل العز ساحباً، والإسلام يخطب من القدس عروساً، ويبذل لها من المهر نفوساً ... ويسمع صرخة الصخرة المستدعية المستعدية لإعدائها على أعدائها، وإجابة دعائها وتلبية ندائها، وإطلاع زُهر المصابيح في سمائها، وإعادة الإيمان الغريب منها إلى وطنه، وردّه إلى سكونه وسكنه"[17].

أورد أبو شامة القصيدة السابقة في أحداث سنة 566هـ أي قبل فتح صلاح الدين غزة وعسقلان والقدس بسبعة عشر عاماً، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على مدى اتساع رؤية الشاعر السياسية والعسكرية في استشراف مستقبل فتح القدس، وكيفية الطريق إليها، وهذا ما قام به صلاح الدين على المستوى التاريخي، ولا غرابة في ذلك فقد عمل الشاعر مع خلفاء الدولة الفاطمية ووزرائها ما يقارب عشرين سنة حتى مقتله بفتوى العلماء، حين تآمر مع الفرنجة للقضاء على الدولة الأيوبية الناشئة في مصر.

ولا شك في أن الشاعر طوال عمله في الدولة الفاطمية قد عرك السياسة وعركته، ووسعت من آفاق فكره فكان دليلاً وهادياً - شعرياً على الأقل - بعد أفول نجمه، وقد حاول مهادنة الدولة الأيوبية وترقيق قلوب أمرائها لتشفق على حاله، وهذا جلي في البيتين الأول والثاني، ولكن أمراء الدولة وفي مقدمتهم صلاح الدين والقاضي الفاضل لم يأمنوا جانبه، واتخذوا جانب الحذر والريبة؛ لأنه من أتباع الدولة الفاطمية والمخلصين لها ولمذهبها، وإن كان سنياً شافعياً "فلم تصف القلوب بعضها لبعض، وصار يظهر من فلتات لسانه في نظمه ونثره ما يقتضي التحرز منه وإبعاده، وهو يرى ذلك منهم فيزداد فساداً في نيته"[18].

ونخلص من هذا كله إلى أن القصيدة الرؤيا على حد تعبير خالدة سعيد قراءة جديدة، تفترض إبداع قيم وعلاقات، وتربط القضايا الراهنة بجذورها النفسية والتاريخية والكونية؛ إنها نوع من اكتشاف العالم، وفتح آفاق جديدة، ورسم طرق جديدة للقبض على المصير[19]، وهكذا لم تقتصر القصيدة على تناول معطيات الواقع بل تجاوزته إلى إبداع حاد باللحظة الراهنة، وحتمية التغيير من خلال جدلية الصراع موصولاً بتحديد معالم المستقبل، وفي مقدمته تحقيق الفتح القدسي مروراً بغزة وعسقلان.

بقي الشعراء يرسمون خطط الفتح القدسي بالتركيز على فتح المدن الفلسطينية المجاورة للقدس أو المحيطة بها، فضلاً عن المدن الساحلية الشامية حتى أجرى الله جلّ وعلا فتح القدس على يدي صلاح الدين، فشرح صدور المؤمنين، ومنح الحبور لكافة المسلمين بهذا الفتح العظيم والنصر الكريم، حتى إذا تم ذلك توجّه الشعراء إلى الحث على فتح مدينة صور، ومن هؤلاء الشعراء ابن الساعاتي، والعماد الأصفهاني، وفتيان الشاغوري، وابن المجاور وغيرهم، وفي هذا يقول ابن الساعاتي:

جَلـــتْ عَزَمـاتُكَ الفتـحَ المُبينا ... فقـــــد قـرّتْ عيونُ المؤمنينا

رددتَ أخيـــــذَةَ الإســلامِ لمّا ... غَـــدَا صَرفُ القضاءِ بها ضَمينا

وما طبـــــريّةُ إلا هَـــــدِيُّ ... تَرفّـــــعُ عن أكُفِّ اللامسينا

قضيـــتَ فريضـــةَ الإســلامِ منهـــا ... وصَدّقـــتَ الأماني والظُنـونا

تَهُـزُّ مَعاطِـفَ القـدسِ ابتهاجـاً ... وتُرضـــي عنـك مكـةَ والحَجُونا

فألمـمْ بالسّواحـلِ فهـي صـورٌ ... إليـكَ وألحِـــقِ الهَـامَ المُتُونا

فقلـبُ القدسِ مســرورٌ ولــولا ... سَطـاكَ لكـــــان مُكتئِبـاً حَزينا[20]

كما وجّه العماد الأصفهاني رسالة إلى صلاح الدين في قصيدة أنشدها يوم فتح القدس فقال:

قُلْ للمليـــكِ صلاحِ الدّيـنِ أكرمَ مَنْ يمشي على الأرضِ أو مَنْ يَركبُ الفَرَسا

مِنْ بعد فتحِكَ بيتَ القدسِ ليس سوى صـــورٍ فإنْ فُتحـــــتْ فاقصِدْ طَرابُلسا

وأخلِ ساحـــلَ هـــذا الشّامِ أجمَعَه مِن العُـــداةِ ومَـــــن في دينـه وَكْسا

ولا تـدعْ منهم نَفْسَـــــاً ولا نَفَساً فإنّهـم يأخـــــــذونَ النَّفْس والنَّفَسا[21]

يتوالى أسلوب الأمر الدال على الدعاء أو النصح والإرشاد في سياق القصيدتين، حاثاً ومحرّضاً على فتح صور ومن ثم طرابلس وساحل الشام، ويرجع تركيز الشاعرين على مدينة صور لأسباب سياسية وعسكرية منها: تحوّل مركز القيادة الفرنجية إليها، وأنها على طريق طرابلس مما يسهّل فتحها ومن بعدها المدن الساحلية الشامية، كما كانت مكاناً لاجتماع فلولهم المهزومين بعد فتح القدس وغيرها من المدن الإسلامية، فصارت قوة لها خطرها، فضلاً عن حصانتها الطبيعية؛ لذلك فشلت هجمات صلاح الدين في الاستيلاء عليها لمنعتها وإحكام أسوارها، وقد بيّن أبوشامة ذلك كله في قوله: "وما فتح بلداً بالأمان إلا سار أهله في حفظ السلطان حتى يصيروا بصور، ويأمنوا المحذور، فاجتمع إليها أهل البلاد المفتوحة، بالقلوب المقفلة المغلقة المقروحة، فامتلأت وكانت خالية، وانتاشت وكانت بالية، وتعللت وكانت معتلّة، وتعقّدت وكانت منحلّة"[22]، ينضاف إلى ذلك "ضجر كثير من أمراء المسلمين لأنهم رأوا ما لم يألفوه من تعسّر الفتح عليهم، فأشاروا على السلطان بالرحيل لئلا تفنى الرجال، وتقل الأموال، وكان البرد قد اشتد عليهم، وكان رأي السلطان والأتقياء من الأمراء ... الثبات إلى الفتح لئلا يضيع ما تقدّم من الأعمال وإنفاق الأموال...فلم يسع لهم السلطان بعد ذلك إلا الرحيل"[23].

2- تصوّر الفتح وتصوير الفاتح

استهلّ صلاح الدين سنة 583هـ/1187م بفتح المدن والحصون المجاورة والمحيطة بالقدس، ففتح أكثر من عشرين مدينة وحصناً في أربعة أشهر، مما دعا العماد الأصفهاني إلى القول بعد هذه الانتصارات "والبشارة بفتح القدس لا تتأخر، والهمم بعد هذا الفتح السني على ذلك تتوفّر"[24]، وقوله أيضاً "وما يتأخر النهوض إلى القدس، فهذا أول فتحه ... وقد آن أن يسفر الهدى عن صبحه"[25]، وبدلاً من أن يتّجه صلاح الدين بعد هذه الفتوح إلى بيت المقدس نراه يتوجّه صوب عكا أولاً "وربما كان ذلك مظهراً من مظاهر عبقرية صلاح الدين الحربية وبُعد نظره، إذ اختار أن يبدأ أولاً بالاستيلاء على المدن الصليبية الساحلية؛ ليحرم الصليبيين من

قواعدهم البحرية التي تربطهم بالعالم الخارجي، وبخاصة الغرب الأوروبي، فيمسوا محصورين داخل بلاد الشام"[26]، وقد نجح في هذه الإستراتيجية العسكرية أيّما نجاح، إذ لم يتبق للفرنجة في الشام بعد الفتح القدسي بثلاث سنوات سوى مدينة صور، وأنطاكية، وطرابلس وبعض القلاع والحصون التابعة لها، وهي لا تتعدى أصابع اليد الواحدة، وكان ذلك تطبيقاً لهدي الرسول (صلّى الله عليه وسلّم) في قوله: "من فُتح له باب من الخير فلينتهزه، فإنّه لا يدري متى يغلق عنه"[27].

لقد كان فتح القدس من الفتوحات العظيمة، والانتصارات الجليلة التي يسّرها الله جلّ وعلا لصلاح الدين، وكان من الأحداث التي أنطقت البكم، وأسمعت الصّم في طول البلاد الإسلامية وعرضها، وابتهجت به نفوس المسلمين فطاروا فرحاً، وطربوا فرجاً، وانطلقت ألسنة الشعراء تتغنّى بالفتح وتمجّد الفاتح، وتربطه بفتوح الأنبياء، والخلفاء الراشدين والصحابة الغرّ الميامين عليهم أفضل السلام والتسليم، بعد أن خيّم اليأس والقنوط في النفوس قرابة تسعين سنة، ولم يكن أحد يجرؤ على رؤية ذلك حتى في منامه لبعد مناله وصعوبة وصاله، ويدلنا القاضي الفاضل على مدى اليأس الذي حلّ بالمسلمين وصعوبة تصوّرهم للفتح القدسي في رسالة كتبها بعد الفتح عن صلاح الدين إلى الخليفة العباسي الناصر لدين الله، وأنفذها إلى بغداد، فكان مما قال: "واسترد المسلمون تراثاً كان عنهم آبقا، وظفروا يقظة بما لم يصدّقوا أنهم يظفرون به طيفاً على النأي طارقا"[28]، كما تجلّت مفاجأة الفتح في مطالع وأبيات كثير من القصائد التي نظمت في تلك المرحلة، وهذا يدل على "أن المسلمين كانوا في يأس شديد من إرجاع القدس إلى حوزة الإسلام، فلما حدث ذلك صعب عليهم تصديقه واعتبروا ذلك من المعجزات"[29]، ومنها قول العماد الأصفهاني:

أبشرْ بفتحٍ أميرَ المؤمنينَ أتى وصيتُـه في جميعِ الأرضِ جَوّابُ

ما كان يَخطرُ في بَالٍ تَصوُّرُه واستُصعبَ الفتحُ لمّا أُغلقَ البابُ[30]

ومنها أيضاً قول الشريف محمد بن أسعد الحلبي المعروف بالجوّاني في مدح صلاح الدين:

أتُرى مناماً ما بعيني أُبصرُ القدسُ تُفتحُ والفِرنجةُ تُكسرُ[31]

ومنها أيضاً قول الرشيد النابلسي:

هذا الـــذي كانتِ الآمالُ تنتظرُ فَلْيُـــوفِ لله أقـــوامٌ بما نَـذروا

بمثلِ ذا الفتحِ لا واللهِ ما حُكيتْ في سالـفِ الـدّهرِ أخبـارٌ ولا سِيَـرُ[32]

كما وقف الشعر حسيراً، والشاعر حائراً أمام جلال الفتح القدسي وعظمة الفتوحات الشامية في بعدها الجماعي الإسلامي، حيث شكّل انتصار صلاح الدين انتصاراً للأمة الإسلامية كلها، فحق

للشاعر ابن سناء الملك أن يتوجّه بالتهنئة إليها مشيداً بهذا النصر الذي حققه الفاتح/ البطل الإسلامي صلاح الدين، وفي هذا يقول:

لستُ أدري بـــأيٍّ فتحٍ تُهنّا	**يـا مُنيـلَ الإسلامِ ما قد تَمنّى**
أنُهنّيـــك إذ تَملّكـــتَ شَامـاً	**أم نُهنّيـــك إذ تَملّكـتَ عَدْنا**
إنّ دينَ الإسلامِ مَنَّ على الخَلْـ	**ـقِ وأنتَ الـذي على الدّين مَنّا**
أنتَ أحييتَـــه وقـد كان مَيتاً	**ثم أعتقتَـه وقـــد كـان قِنّا**
لكَ مدحُ فوقَ السمواتِ يُنشا	**ومحـــلُ فوقَ الأسنّـةِ يُبنى**
شهدَ الناسُ أنّهم شاهدوا جبـ	**ريـلَ ردءَ الأقـــرانَ قِرْنا فَقِرْنا**
مَلِكٌ جُنـــده ملائكـــةُ اللّـ	**ـه فُـرادى جـاءتْ إليـه ومَثنى**
لا تُخصُّ الشآمُ فيـــك التّهاني	**كـلُّ صُقـــعٍ وكـلُّ قُطْرٍ مُهنّى**[33]

بدأ الشاعر قصيدته بتقرير حقيقة واقعة تتمثّل في كثرة انتصارات صلاح الدين، حتى إنه لا يستطيع بشعره ملاحقة تلك الانتصارات العظيمة المتتابعة، ولم يسع الشعر إلا أن يقف يلهث خلفها وقد أعيته مواكبتها، مما جعل الشاعر يتساءل كيف يبدأ قصيدته؟ لأن المسلمين في ذلك الوقت قد غمرهم اليأس، وعمّهم القنوط، حتى جاء صلاح الدين ليغمر أفق حياتهم بهذه الانتصارات، فوقفوا مبهورين من فرط دهشتهم وإعجابهم كأن على رؤوسهم الطير؛ لذلك استهلها باستفهام حائر يجعل الشعر عاجزاً عن متابعتها إبداعياً. إنّ إيمان الشاعر بوحدة البلاد الإسلامية جعله لا يخص الشام وحده بالتهنئة، ولكنه يهنئ الأمة الإسلامية كلها بهذا النصر بعد تحقيق الوحدة في زمن صلاح الدين.

وبالنظر إلى البناء اللغوي للأبيات تلاحظ سيطرة الألفاظ الدينية، التي استمدها الشاعر من المعجم القرآني مثل: "الإسلام - دين الإسلام – جبريل - ملائكة الله"، وقد أسهمت في إثراء التجربة الشعرية، ووسمتها بالخصوبة وقوة الدلالة، لما فيها من استلهام للضمير الديني للإنسان المسلم، وبخاصة حين يقرن هذا النصر بمدد من الملائكة مردفين لنبيّه الأمين (صلّى الله عليه وسلّم)، جاءوا إليه "فرادى ومثنى" لشدّ أزره في غزواته ضد الكفار والمشركين، فكان ذلك عظيم الفائدة وجليل العائدة في نصر المسلمين وإعلاء كلمة رب العالمين، ينضاف إلى ذلك توظيف الشاعر لحرف المد في قافية القصيدة مما يوحي بالامتداد الأفقي، الذي يؤدي إلى ترديد صدى الانتصار في أرجاء المعمورة ليسمع به القاصي والداني.

كما تظهر الأبيات صورة البطل المسلم صلاح الدين، الذي لم يكن يقاتل من أجل مغنم شخصي أو مكسب مادي، ولكنه يجاهد من أجل رفعة شأن الدين، وإعادته إلى مكانه في مدن الإسلام؛ لذلك كان على الله نصر المؤمنين بتسخير الملائكة له كما سخّرهم لنبيّه الكريم. ولا يخفى ما في قول الشاعر "وأنت الذي على الدين منّا" من إفراط أو إغراق في أداء المعنى لقوله تعالى "يمنّون عليك أن أسلموا قل لا تمنّوا عليّ إسلامكم، بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين"[34]، ولعل هذا يرجع إلى أسباب كثيرة منها طبيعة العصر الأيوبي نفسه وما كان فيه من انتصارات مفاجئة اهتز لها المسلمون والشعراء طرباً فهاموا في أودية المبالغة والإسراف[35].

ويمزج أبو الحسن بن علي الجويني بين مفاجأة فتح القدس واقترانه تصريحاً لا تلميحاً بـ "فتوح الأنبياء"، وقد أنفذها للعماد الأصفهاني لنشرها، ومنها قوله:

جُنْـــدُ السّماءِ لهذا المَلكِ أعوانُ ... مَنْ شكَّ فيهم فهذا الفتحُ بُرهانُ

متى رأى النّاسُ ما يَحكيه في زمنٍ ... وقد مَضتْ قبلُ أزمانٌ وأزمانُ

هذي الفُتــوحُ فُتوحُ الأنبياءِ وما ... لها سوى الشكرِ بالأفعالِ أثمانُ

أضحتْ مُلوكُ الفِرنجِ الصّيدُ في يده ... صَيداً وما ضَعُفوا يوماً وما هانوا

كم مِنْ فُحولِ ملوكٍ غُودروا وهم ... خوفَ الفِرنجــةِ ولْدانٌ ونِسوانُ

تسعونَ عاماً بلادُ اللهِ تَصْرُخُ والـ ... إسلامُ أنصارُه صُـــمٌّ وعُميانُ

فالآن لبّى صــلاحُ الدّينِ دعوتَهم ... بأمــرِ مَنْ هو للمِعْوانِ مِعْوانُ

للنّاصرِ ادُّخرتْ هــذي الفُتُوحُ وما ... سمتْ لها هِممُ الأملاكِ مُذ كانوا

حَبَاه ذو العَرشِ بالنّصرِ العزيزِ فقا ... لَ النّاسُ داود هــذا أم سليمانُ

لو أنّ ذا الفتحِ في عصرِ النّبي لقد ... تَنزّلتْ فيــه آيــاتُ وقرآنُ

إذا طَــوى اللهُ ديــوانَ العِبادِ فما ... يُطوى لأجرِ صــلاحِ الدّينِ ديوانُ[36]

ترتكز الأبيات في إنتاج دلالاتها على أبعاد متعددة يتجلى فيها الفتح القدسي بعظمة قدره، وجسامة فخره، مقترناً بفتوح الأنبياء المتماهية في صورة الفاتح العظيم صلاح الدين الأيوبي، والمفاجأة التي أحدثها في نفوس تاقت إلى تحرير القدس من أيدي الغاصبين "وظفروا يقظة بما

لم يصدّقوا أنهم يظفرون به طيفاً على النأي طارقا"[37]، بعد أن رام تحريره كثير من ملوك المسلمين وأمرائهم، لكنه استعصى عليهم ولم يقصّروا الهمم يوماً في افتتاحه، وكأن الله سبحانه وتعالى ادّخره لصلاح الدين ليظهر فضيلة أيامه، وعلامة قبوله طاعاته، ولعل هذا هو سر كرامة فتحه، الذي أشار إليه الحكيم الجلياني صاحب ديوان "المبشّرات والقدسيات"، حين وصفه بـ "السّر المغيّب" في قوله:

تَصاريفُ دَهرٍ أعْرَبتْ لِمن اهتَدى وبَسطةُ أمرٍ أغْرَبتْ مَنْ تَمرّدا

لسُرعةِ فتحُ القــدسِ سِرٌ مُغيَّبٌ وفي صَرْعةِ الإفرنجِ مُعْتَبرٌ بَدا[38]

وقد حاول العماد الأصفهاني معرفة كُنه هذا السّر بقوله نثراً "ولمّا فتح السلطان القدس تقدّم بحمله، وصحّ به في محراب الأقصى اجتماع شمله، وظهر سرّ الكرامة في فوز الإسلام بالسلامة، وتناصرت الألسن بالدعاء لنور الدين بالرحمة، ولصلاح الدين بالنصرة والنعمة"[39]، ينضاف إلى ذلك كله ما في هذا الفتح من اتفاق عجيب حيث يسّره الله جلّ وعلا في شهر رجب ليلة الإسراء والمعراج، التي صلّى فيها المصطفى (صلّى الله عليه وسلّم) بالأنبياء في رحاب المسجد الأقصى، مما يدل على إمامته لهم، وأحقية المسلمين به تبعاً لذلك، ثم صعد إلى أعلى عليين، وحقيق لمثل هذا اليوم أن يشرّفه الله سبحانه وتعالى بسورة أو بآية في التنزيل العزيز لو كان في عصر النبوّة، ثم يأتي الشاعر/ الجويني في الأبيات السابقة على ذكر نبيين كريمين عاشا في القدس وهما سليمان وداود عليهما السلام، ويشبّه صلاح الدين بهما؛ مما يشير إلى أن القدس مقام الأنبياء، ومعبد الأولياء والأتقياء، فيها كرسي سليمان ومحراب داود، جعلها الله عهدة في أيدي المسلمين، آئمة العالمين، بعد نبيّهم الأمين وإمام النبيين، وتنتهي الأبيات/ القصيدة بالدعاء لصلاح الدين الذي جاءه من نعم الله ما لزم على الأبد شكره، والاعتراف الجميل بفضله، وهذا اختتام ذو مكانة خاصة، يكشف عن توليد المعاني وكثافتها الدلالية في بؤرة مركزية، تلخّص المبادئ الكلية لشخصية الفاتح وصورة الفتح.

كما وصف كثير من الشعراء صورة الفتح القدسي بـ "الآية" التي أحيت ما اندرس من هدى الإسلام بيد الأعداء، الذين اجتاحوا بلاد الإسلام بقضّهم وقضيضهم، وحدّتهم وشدّتهم في القتل والتنكيل بالمسلمين، لكن صلاح الدين أعاد عمد الدين الحنيفي إلى مكانه من بلاد الإسلام وبخاصة القدس الشريف، وأدار على الأعداء/ المشركين كؤوس الموت الممتزجة بدمائهم، وقد عبّر العماد الأصفهاني في رسالة له عن مثل هذه المعاني بقوله: "فالحمد لله الذي أعاد القدس إلى القدس، وأعاذه من الرجس، وحقق بعد فتحه ما كان في النفس...وجعل عز يومه ماحياً ذل الأمس"[40].

كما وصف ابن الساعاتي فتح القدس بـ "الآية العظمى"، التي تجلّت بين حروفها نورانية الفتح، وقدسية تلاوته، فتدفق حلاوة وجذلاً في كل منطق على ألسنة السيوف وشفاه المسلمين، وباركته مكة المكرّمة، وسعدت به المدينة المنوّرة، وطربت بتحققه الروضة النبوية والجسد الشريف، وكم تمنى الشاعر أن يشهده عمر بن الخطاب لتقرّ عينه، ويرى جلاله وعظمته برجوع الإسلام الغريب إلى داره، وقرار عيون المسلمين بأنوار قربه. يقول الشاعر:

أعِيّــاً وقـــد عَاينتمُ الآيةَ العُظمى ... لأيّــةِ حـــالٍ تَذخروا النثرَ والنّظما

وقد ساغَ فتحُ القدسِ في كلِّ مَنطقٍ ... وشـــاعَ إلى أنْ أسمعَ الأَسَلَ الصُمّا

حَبَـا مكّـــةَ الحسنى وثنّى بيثربٍ ... وأطـربَ ذيّـــاكَ الضَّريحَ وما ضَمّا

فليتَ فتـــى الخَطَّابِ شاهدَ فتحَها ... فيشهدَ أنّ السّيفَ مِنْ يُوسُفٍ أصمى

وأصبحَ ثغـــرُ الدّينِ جَذْلانَ باسماً ... وألسنـــةُ الأغمـــادِ تُوسِعُه لَثْما

سلوا السّاحلَ المَخْشيَ عن سَطَواتِه ... فمـــا كـــان إلا ساحلاً صَادفَ اليَمّا[41]

تضم الأبيات بين ثناياها كثيراً من الظواهر الموضوعية التي ارتكز عليها الشعراء في تصوّرهم لفتح القدس وفاتحها العظيم، وأعني بذلك وصف الفتح بالآية العظمى، ورضا الرسول (صلّى الله عليه وسلّم) عنه، واقتران الفتح بمكة المكرّمة والمدينة المنوّرة ثم بعمر بن الخطاب، وإحياء الدين في مدن الإسلام، وصورة الفاتح وسطوته على الأعداء، وقد اتسمت ألفاظ الشاعر مثل "الآية العظمى - الأسل الصمّا – أصمى - ألسنة الأغماد – المخشي - سطواته" وغيرها في رأي عبد الجليل عبد المهدي بالقوة والفخامة والجزالة في أسلوبها الشعري، والمشاكلة بين الألفاظ والمعاني، التي اختارها الشاعر للتعبير عن تلك المعاني[42]، وقد لاحظ الباحث أن الشاعر لم يكتف بهذا الأسلوب الفخم الذي يناسب جلال الفتح وعظمته بلا شك، بل تباين أسلوبه فوظّف في ثنايا القصيدة مفردات عاطفية وجدانية فيها رقّة ولين مثل "حبا - ثنّى - أطرب - فتى الخطاب - ثغر - جذلان – باسم - لثم"، ومؤدّى ذلك أن مفردات المجموعة الأولى ذوات وقع عنيف وشديد وحاسم على الأعداء، في حين أن مفردات المجموعة الثانية تعبّر عن فرحة النبي الكريم (صلّى الله عليه وسلّم) والمسلمين بالنصر العظيم، وهذا يتطلبه السياق الحربي العسكري مقابل السياق العاطفي الوجداني، فكان لا بد أن يتعدد الأسلوب تبعاً لتناسب المقامات والأحوال التي يعبّر عنها الشاعر، ينضاف إلى ذلك توظيفه للتشاكل اللفظي في البيت الثاني بين "ساغ - شاع"، والبيت الرابع بين "شاهد - يشهد"، وهي تحمل ترجيعات موسيقية موحية، نشأت من

تشابه مخارج الحروف لتصب في مجرى الدلالة العامة بانتشار الفتح وشيوعه في الآفاق، ومشاهدة تجلياته القدسية ومعاينتها عن قرب وبُعد.

وكثر في قصائد الشعراء تصوير الفتح بـ "الملحمة"، ومزجوا ذلك في ضفيرة واحدة بين الفاتح صلاح الدين والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، واقتدائه بسيرتهم العطرة في نشر الإسلام والدفاع عن قيمه الأخلاقية، وفي مقدمتهم الفاتح الأول عمر بن الخطاب وقائد جيوشه أبي عبيدة بن الجرّاح، مما يعيد عصر الصحابة إلى سابق عهده من رفعة الإسلام، وانتصار المسلمين، كما أشار كثير من المؤرخين المسلمين إلى هذا الأمر منهم ابن شدّاد الذي تحدّث عن يوم موت صلاح الدين بقوله: "وكان يوماً لم يصب المسلمون والإسلام بمثله منذ فُقد الخلفاء الراشدون"[(43)]، وكذلك أبو شامة المقدسي في قوله عن نور الدين وصلاح الدين: "فوجدتهما في المتأخرين كالعمرين - رضي الله عنهما - في المتقدمين، فإن كل ثان من الفريقين حذا حذو من تقدّمه في العدل والجهاد، واجتهد في إعزاز دين الله أي اجتهاد ... فلا أُبعد أنهما حجّه من الله على الملوك المتأخرين"[(44)].

ومهما يكن من أمر، فقد صوّر فتيان الشاغوري الفتح القدسي بملحمة أعربتها وأفصحت عنها السيوف، ونقّطتها السهام، وكتبتها بالدماء الرماح على دفتر/ ثرى بلاد الإسلام. يقول:

أنشأتَ مَلحمـــةً تُمِـلُّ مُقاتِلَ الـ فُرْسـانِ بالعددِ الذي لم يُحْصرِ

إعرابُها ضربُ الحُسامِ ونَقْطُها وقعُ السِّهـام وخَطُّها بالسَّمهَري

والحِبْر بحـــرُ دَمٍ تَغَطْمَطَ مَوجُه إذ ليس ثمّ سِوى الثّرى مِن دفترِ[(45)]

كما وصف الشاعر نفسه صلاح الدين بربّ الملاحم في قوله:

ربُّ الملاحمِ لم يُؤرِّخْ مثلَهـــا الـ علماءُ قِدْماً في قديمِ الأعصرِ

خُلعتْ عليه خِلْعَةُ المُلْكِ التي زيدتْ بهـاءً بالطِّرازِ الأخضرِ[(46)]

ومزج ابن الساعاتي بين صلاح الدين وعمر بن الخطاب في قوله:

هو الفاتحُ البيت المقدّس بعدما تحامته ساداتُ الدُّنا ومَسودها

فضيلـةُ فتـــحٍ كان ثاني خليفةٍ من القومِ مُبديها وأنتَ مُعيدُها[(47)]

وجمع الحكيم الجلياني بين الصورتين السابقتين، مبيّناً أن هذه الملحمة تحاكي فترة النبوّة وأيامها الزاهرة. يقول:

موسى

أبا المُظفّـر أنت المُجتَبى لِهُدى أخـرى الزّمان على خُبْرٍ بخُبرتِه

فلـو رآكَ وقـد حُزتَ العُلا عُمرُ في قُلّـــةِ التلّ قَضّى كُنه عِبرتِه

ولـو رآكَ وأهلُ القدسِ في وَلَهٍ أبو عبيـــــدة فَدّى مِن مَسرَتِه

دارتْ بكَ الملّةُ الحُسنى فنحن على عهدِ الصّحابـةِ في استمرارِ مِـرَتِه

وأنت كاسْمِكَ صدّيقٌ وصاحبُـه الـ مَلـكُ المُظفّـــرُ سامٍ في مَبرّتـه

وفـي السُلالـةِ عثمـــانٌ يؤيـده عُلا عَليّ عَلَـــى إيثـار نُصرَتـه

أضحى لنشرِ الهُدى في فتحِ مَنهجِهِ وباتَ يَطـوي العِـدى في سَدّ ثُغرتـه

أبشرْ بمُلْكٍ كظهـــرِ الشمسِ مُطّلع على البسيطـــــةِ فتّـاحٍ بنشرتـه

حتى يكـــونَ لهـــذا الدّينِ مَلحمةٌ تَحكـــــــي النبوّةَ في أيـامِ فَتْرَتِـه[48]

تصف خاتمة الأبيات الفتح القدسي بأنه ملحمة من الملاحم الإنسانية نحو تحقيق العدالة والتمسك بالحق التاريخي، تحاكي فترة النبوّة في نشر الإسلام وتثبيت دعائمه السمحة، وإضاءة روح العالم بنور الحق والعدل، المنزّل من فوق سبع سموات على قلب المصطفى الأمين (صلّى الله عليه وسلّم)، وقد سار الشاعر متدرّجاً في وصفه بالملحمة كموجة استقرت على شاطئ التجربة الشعرية، ساعدت على توصيلها أسماء الأعلام التي ترددت بين جنباتها، وشكّلت مع بعضها بعضاً نسيجاً شبكياً متماسكاً، امتزج فيه البعد الآني بالبعد التاريخي، وانفتح الوعي على تجارب منغرسة في وجدان الإنسان المسلم.

يمكن تقسيم الأسماء الواردة في الأبيات إلى قسمين أساسيين: يستحضر القسم الأول أسماء الخلفاء الراشدين والصحابة رضي الله عنهم أجمعين مثل: عمر بن الخطاب، وأبي عبيدة، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، الذين سعدوا وطابت نفوسهم بهذا النصر العظيم بوصفه استمراراً لعصرهم الزاهر وعصر الرسول الكريم (صلّى الله عليه وسلّم) من قبلهم، وهذا يساعد على تقييد الحدث بأصحابه وعوالمه وظروفه، ويجعل منها رموزاً كلية لنماذج بشرية تسعى إلى خير الإنسان، وتتعاصر مع الواقع المعيش بما يحمل من هموم وإسقاطات تستثير الهمم "وتذكّر القارئ بدروس ليتعمّق انتماؤه إلى أمته، وإحساسه بعظمتها وسمو ماضيها، مما لا يليق معه أن ينالها الهوان في حاضرها"[49]، كما يعكس الإنجاز الإنساني الإسلامي في صورة حركية، لا تقدّس القديم بشخصياته وأحداثه بقدر ما تتفاعل معه وفق رؤيا معاصرة ترتبط بروح العصر، وتؤطر

النص الشعري للكشف عن أحلام المسلمين في عصر صلاح الدين وطموحاتهم الإنسانية المشروعة.

هكذا حملت أسماء الأعلام في القسم الأول تداعيات تربطها ربطاً محكماً بواقع المسلمين في زمن صلاح الدين، وقد ازدادت هذه التداعيات بروزاً وتكثيفاً في القسم الثاني من توظيف الأسماء، وأصبحت ذوات قيم رمزية زاخرة بالتعبير الكنائي الموحي في توجيه الخطاب الشعري وإنتاج الدلالة، وذلك باستحضار شخصية الفاتح صلاح الدين عن طريق اللقب "صدّيق"، والكنية "أبو المظفّر" دون استخدام الاسم المباشر، ويرجع ذلك إلى أن اللقب ذو قيمة دلالية، لا يدل على الذات وحدها، بل يتجاوز ذلك للدلالة "على كل ما أشعر برفعة المسمّى أو ضعته"[50]، أي أنه يمثّل "إشارة توصيف وتعيين بوصفه خطوة أولى للتفرقة بين أسماء الأعلام"[51]؛ وبهذا يتعيّن صلاح الدين بصفة الصدّيق الدائم التصديق، أو المبالغ في الصدق، فضلاً عن أنه يستدعي نبيين كريمين أولهما من أولي العزم وهما: إبراهيم الخليل، ويوسف بن يعقوب عليهما أفضل الصلاة والسلام، كما يستدعي صدّيق الأمة أبا بكر رضي الله عنه، وفي ذلك إثراء ديني وأخلاقي يضفي على صلاح الدين دلالات مستقرة في الوجدان الإسلامي، تشير إلى صدق العمل من أجل رفعة الدين.

وأما الكنية فتتكون من شقين يضاف أحدهما إلى الآخر، وتبدأ بالإضافة إلى الآباء أو الأمهات أو البنين أو البنات، وقد وظّف الشاعر الكنية "أبو المظفّر" لما تحمله من دلالات الغلب والقهر والفوز والتمكين من العدو، والمظفّر هو المِظفار الذي لا يحاول أمراً إلا ظفر به[52]، وهي دلالات ملائمة لسياق الفتح القدسي، تجسّد الوجود المتحقق والمتعيّن للبطل المقترن به النصر، وجعل ذلك عادة له بتأييد من الناصر جلّ وعلا.

وصفوة القول في توظيف الشاعر للاسم المباشر واللقب والكنية أنه إذا كان التركيب النحوي في رأي أحمد مجاهد يلقي ظلالاً فنية ووصفية على صيغة الاسم المباشر، فإن صيغة الاسم المباشر عموماً بوصفها وحيدة وإجبارية ومفروضة على الشاعر فرضاً، تعدّ أقل آليات استدعاء العَلم فنية، لأن الشاعر لا يبذل أي جهد إبداعي في اختياره لها، وفي مثل هذه الحالة تعتمد الفنية الشعرية على الوظيفة الدلالية للشخصية داخل النص، أكثر من اعتمادها على آلية الاستدعاء نفسها[53].

الخلاصـة

مرّت القدس في رحلتها المضنية زمن الحروب الفرنجية بمراحل متعددة، بدأت باحتلالها في بادئ الأمر، نتيجة ضعف المسلمين وتفرّق كلمتهم، تبعها تحرير بعد تحقيق الوحدة الإسلامية الشاملة في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي، مما أدى إلى تخليصها من براثن الاحتلال بعد

قرابة تسعين سنة، وقد واكب الشعراء ذلك، فبينوا مكانتها الدينية، وصدى احتلالها، ومجّدوا الفتح والفاتح، وقد تعددت أساليبهم، وطرائق تعبيرهم، التي شكّلت نتائج البحث على النحو الآتي:

1- رسمت كثير من القصائد خطط الفتوح المرحلية للقادة والأمراء، وبخاصة أن بعض الشعراء تمتعوا بحنكة سياسية، وخبرة عسكرية، فلما فتح عماد الدين زنكي مدينة الرّها، حرّضه الشعراء على فتح القدس لمكانتها الدينية، وفتح المدن الساحلية، لكونها موانئ حيوية لقدوم النجدات من أوروبا، وقد ازداد التحريض ورسم خطط الفتوح قوة وحضوراً في زمن نور الدين وصلاح الدين، وكانت القدس قاسماً مشتركاً، وبؤرة مركزية، تستدعيها الأحداث كلما فتحت مدينة من المدن الإسلامية.

2- ابتهجت نفوس المسلمين بفتح القدس، وانطلقت ألسنة الشعراء تتغنّى بالفتح، وتمجّد الفاتح، وتصوّر وقع المفاجأة العظيم، وقد تجلّى ذلك في مقدمات القصائد بخاصة، التي دلّت على مدى يأس المسلمين وقنوطهم من تحرير القدس، حتى في منامهم، فلما تم لهم ذلك صعب عليهم تصديقه، واعتبروه من المعجزات؛ لذلك ربطوه بفتوح الأنبياء، كما وصفوه أيضاً بالسرّ المغيّب، والآية العظمى، والملحمة، كما قرنوا بين الفاتح وبعض الخلفاء الراشدين.

3- اتخذ التحريض على القتال في المرحلة الأولى للحروب الفرنجية صبغة وطنية، ونزعة قومية، واكتفى الشعراء باستثارة نخوة أمير من الأمراء للدفاع عن بلده وحريم المسلمين، ولم يطمعوا في أكثر من هذا، ولكن بعد ظهور القادة العظام أمثال عماد الدين ونور الدين وصلاح الدين، حمل التحريض صفة الجهاد الشامل، والدفاع عن الإسلام والمسلمين في طول البلاد وعرضها، وفي مقدّمتها القدس الشريف، وقد كثرت في القصائد المعاني الدينية، والاقتباس من سور القرآن الكريم وآياته، للدلالة على الصلة الروحية بين مكّة والقدس.

4- وظّف الشعراء أساليب فنية متعددة منها: الأساليب الإنشائية وبخاصة أسلوب الأمر، للدلالة على التحريض على الفتح، أو استنفار النخوة الدينية والدنيوية في الدفاع عن المقدّسات والأعراض. كما وظّفوا المحسنات البديعية وبخاصة الجناس لترشيح السياق للانفتاح الدلالي، وكذلك حروف المدّ التي توحي بالامتداد الأفقي لترديد صدى الانتصار في أرجاء المعمورة، وغير ذلك.

مواجـد مقدسيّـة في شعر الحروب الفرنجيّة (الانتصار)

Jerusalemite Passions in the Poetry of the Crusades (Victory)

Ibrahim N. Mousa, *Professor of Modern Literature and Criticism, Department of Arabic Language and Literature, Bir Zeit University, Ramallah, Palestine.*

Abstract

The research studies Jerusalem and poets at the full sense of the word (passions): the meaning of love complaints, sadness, anger, and triumph, these are the religious, real, psychological, and emotional meanings that most poems tackled the situations/conditions that Jerusalem survived. However, the research focused only on the dimension of victory which is clearly shown in two topics: the setting on conquest plans, the process of victory and the image of the Victorians.

The researcher approaches his topic in a critical analytical way based on historical events to reveal the inner feelings of poets and their emotions towards blessed Jerusalem, and to provoke and encourage rulers and governors to conquest it. They approached this gradually as every stage requires. Some looked like strategic experts who can figure out the central point of danger and its geographical dimensions to invest the appropriate opportunity to conquest new areas. But with the advent of great leaders provocation for conquest, turned to be a mechanism to defend Muslims and Islam across all countries. This, as a result, would enable Salah din Al Ayoubi to conquest Jerusalem. The poets then started singing and praising the conquerors and drawing a clear image in the heart of the crowd as well as in their minds, rich with love, and full appreciation and thanks to the Almighty for the great victory. This clearly appeared in the consciousness of poets who were fully aware of its religious and urban importance. This was clearly reflected in their poems in a monologue with oneself and the historical reality. But due to being a literary genre, it represents vision that was able to explain the self as well as the world around, which in turn created an interactive environment among poets, the feeling of the group, an its legal dreams in creating a better future.

Keywords: Jerusalem, Crusades, Conquest plans, Conqueror.

الهوامش

(1) برجاوي، سعيد أحمد: الحروب الصليبية في المشرق، بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1984م. (ص98).

(2) انظر عاشور، سعيد عبد الفتاح: الحركة الصليبية، ج1، مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، 2010م. (ص148).

(3) انظر ما سبق: (ص166).

(4) انظر ما سبق: (ص197).

(5) انظر الشارتري، فوشيه: الاستيطان الصليبي في فلسطين، مصر، دار الشروق، ط1، 2001م. (ص137).

(6) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج8، بيروت، دار الكتاب العربي، ط4، 1983م. (ص189).

(7) كيلاني، محمد سيد: الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي، مصر، دار الفرجاني، 1984م. (ص300).

(8) أبو شامة: الروضتين، وضع حواشيه وعلّق عليه إبراهيم شمس الدين، مج1، ج1، بيروت، دار الكتب العلمية، (ص196-197).

(9) ما سبق: مج1، ج1. (ص171).

(10) عاشور، سعيد عبد الفتاح: الحركة الصليبية، ج1. (ص493).

(11) أبو شامة: الروضتين، مج1، ج2. (ص45).

(12) ما سبق: مج1، ج2. (ص23).

(13) عتيق، عبد العزيز: علم المعاني، بيروت، دار النهضة العربية، 1985م. (ص83).

(14) انظر أنيس، إبراهيم، وآخرين: المعجم الوسيط، مصر، د.ت. مادة (نهض)، و(نهد).

(15) أبو شامة: الروضتين، مج1، ج2. (ص122-123).

(16) انظر ما سبق: مج2، ج3. (ص202).

(17) ما سبق: مج2، ج3. (ص214).

(18) ما سبق: مج1، ج2. (ص191).

(19) انظر سعيد، خالدة: حركية الإبداع، بيروت، دار العودة، ط2، 1982م. (ص190).

(20) ابن الساعاتي: ديوانه، تحقيق أنيس المقدسي، ج2، بيروت، مطبعة الجامعة الأمريكية، 1938م. (ص406-408).

(21) أبو شامة: الروضتين، مج2، ج3. (ص234).

(22) ما سبق: مج2، ج1. (ص209).

(23) ما سبق: مج2، ج3. (ص267).

(24) ما سبق: مج2، ج3. (ص202).

(25) ما سبق: (ص206).

(26) عاشور، سعيد عبد الفتاح: الحركة الصليبية، ج2. (ص91).

(27) الهندي، المتقي: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ج15، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1979م. (ص791).

(28) الفاضل، القاضي: الدرّ النظيم من ترسّل عبد الرحيم، مصر، مكتبة نهضة مصر، 1959م. (ص19).

(29) كيلاني، محمد سيد: الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي. (ص281).

(30) أبو شامة: الروضتين: مج2، ج3. (ص234).

(31) ما سبق: (ص239).

(32) النابلسي، الرشيد: شعر الرشيد النابلسي، رام الله، المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي، 2003م. (ص133-135).

(33) ابن سناء الملك: ديوانه، الهند، مطبعة مجلس المعارف العثمانية، ط1، 1958م. (ص813-820).

(34) القرآن الكريم: سورة الحجرات، الآية 17.

(35) انظر موسى، إبراهيم نمر: شعر الحرب في العصر الأيوبي، ابن سناء الملك إنموذجاً، رام الله، دار البيرق العربي، ط1، 2007م. (ص85-87).

(36) أبو شامة: الروضتين-مج2، ج3. (ص238-239).

(37) ما سبق: (ص231).

(38) ما سبق: (ص263).

(39) ما سبق: (ص254).

(40) ما سبق: (ص223).

(41) ابن الساعاتي: ديوانه. (ص385-386).

(42) انظر عبد المهدي، عبد الجليل: بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية، عمّان، دار البشير، ط2، 1995م. (ص257).

(43) ابن شدّاد: النوادر السلطانية، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ط1، 1964م. (ص246).

(44) أبو شامة: الروضتين، مج1، ج1. (ص92).

(45) الشاغوري، فتيان: ديوانه، دمشق، المطبعة الهاشمية، 1976م. (ص142-143).

(46) أبو شامة: الروضتين: مج2، ج3. (266).

(47) ابن الساعاتي: ديوانه، ج1. (ص72).

(48) أبو شامة: الروضتين، مج2، ج3. (ص235-236).

(49) الصكر، حاتم: مرايا نرسيس، بيروت، المؤسسة العربية، ط1، 1999م. (ص215).

(50) الأنصاري، ابن هشام: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ج1، بيروت، دار الفكر، 1994م. (ص133).

(51) مجاهد، أحمد: أشكال التناص الشعري، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م. (ص28).

(52) انظر المعجم الوسيط: مادة (ظفر).

(53) مجاهد، أحمد: أشكال التناص الشعري. (ص28).

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم

ابن الأثير (ت: 630هـ): **الكامل في التاريخ**، ج8، بيروت، دار الكتاب العربي، ط4، 1983م.

الأنصاري، ابن هشام (708-761هـ): **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، ج1، بيروت، دار الفكر، 1994م.

أنيس، إبراهيم وآخرون: **المعجم الوسيط**، مصر، د. ت.

برجاوي، سعيد أحمد: **الحروب الصليبية في المشرق**، بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1984م.

ابن الساعاتي (553-604هـ): **ديوان الساعاتي**، تحقيق أنيس المقدسي، بيروت، مطبعة الجامعة الأمريكية، 1938م.

سعيد، خالدة: **حركية الإبداع**، بيروت، دار العودة، ط2، 1982م.

ابن سناء الملك (550-608هـ): **ديوان ابن سناء الملك**، اعتنى بتصحيحه والتعليق عليه د. محمد عبد الحق، الهند، مطبعة مجلس المعارف العثمانية، ط1، 1958م.

الشارتري، فوشيه: **الاستيطان الصليبي في فلسطين**، ترجمة ودراسة د. قاسم عبده قاسم، مصر، دار الشروق، ط1، 2001م.

الشاغوري، فتيان (530-615هـ): **ديوان فتيان الشاغوري**، تحقيق أحمد الجندي، دمشق، المطبعة الهاشمية، 1976م.

أبو شامة (599-660هـ): **الروضتين في أخبار الدولتين**، وضع حواشيه وعلّق عليه إبراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2002م.

ابن شدّاد (ت: 632هـ): **النوادر السلطانية**، تحقيق جمال الدين الشيّال، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ط1، 1964م.

الصكر، حاتم: **مرايا نرسيس**، بيروت، المؤسسة العربية، ط1، 1999م.

عاشور، سعيد: **الحركة الصليبية**، مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، 2010م.

عبد المهدي، عبد الجليل: **بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية**، عمّان، دار البشير، ط2، 1995م.

عتيق، عبد العزيز: **علم المعاني، بيروت**، دار النهضة العربية، 1985م.

الفاضل، القاضي (525-596هـ): **الدرّ النظيم من ترسّل عبد الرحيم**، تحقيق د. أحمد بدوي، مصر، دار نهضة مصر، 1959م.

كيلاني، محمد سيّد: **الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي**، مصر، دار الفرجاني، 1984م.

مجاهد، أحمد: **أشكال التناص الشعري**، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م.

موسى، إبراهيم نمر: **شعر الحرب في العصر الأيوبي، ابن سناء الملك أنموذجاً**، رام الله، دار البيرق العربي، ط1، 2007م.

النابلسي، الرشيد (553-619هـ): **شعر الرشيد النابلسي**، جمع وتحقيق د. مشهور الحبّازي، رام الله، المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي، 2003م.

الهندي، المتقي (885-975هـ): **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، ضبطه وفسّر غريبه الشيخ بكري حيّاني، ج15، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1979م.

Reference

Al-Qurãn Al-Karĭm

Abd Al-Mahdĭ, Abd Al-jalĭl: bayt al-maqdis fĭ adab al-hurûb al-salĭbiyyah, Ammãn , dãr al- bašĭr, 2nd ed., 1995.

Abû Šãma: al-Rawthatayn fĭ Akhbãr al- Dawlatayn, watha'a hawãšiyah wa a'llaqa a'layh Ibrãhĭm Šams Al-dĭn, Beirut, dãr al- kutub al- ailmiyyah, , 1st ed., 2002.

Al- Fadil, Al-Qãdĭ: al-durr al-nathĭm min tarassul abd al-rahĭm, tahqĭq Ahmad Badawĭ, Misr, maktabat nahdat Misr, 1959.

Al- Hindĭ, Al- Muttaqĭ: kanz al-aummãl fĭ sunan al-aqwãl wa al-afãl, vol 15, Beirut, thabatahu wa fassar garĭbah al- šaykh bakrĭ hayyanĭ, mua'ssasat al-risãlah, 1979.

Al- Nãbulsĭ, Al- Rašĭd: šiar Al-Rašĭd Al-Nãbulsĭ, jama wa tahqĭq Mashûr Al-habazĭ, Ramallah, al-mua'sasah al-filastĭniyyah li al-iršãd al-qawmĭ, 2003.

Al- šãrtarĭ, Fûšĭh: al-aistĭtãn al-salĭbĭ fĭ filastĭn, tarjamat wa dirasat qãsim abduh qãsim, Misr, dãr al-šurûq, 1st ed., 2001.

Al-Ansãrĭ, Ibn Hišãm: a'wthah al-masãlik ilã a'lfiyyat ibn mãlik, Beirut, dãr al-fikr, vol1, 1994.

Al-Šãgûrĭ, Fityãn: dĭwãn Fityãn Al-Šãgûrĭ, tahqĭq Ahmad al-Jundĭ, Dimašq, al-matba'h al-hãšimiyyah, 1976.

Al-Sakr, Hãtim: marãyah narsĭs, Beirut, al- mua'ssasah al-arabiyyah, 1st ed., 1999.

Anĭs, Ibrãhĭm: al-muajam al-wasĭt, Misr, n.d.

Ashûr, Saĭd: al-harakah al-salĭbiyyah, Misr, maktabat al-anjlû al-misriyyah, 2010.

Atĭq, Abd Al-azĭz: ailm al-maãnĭ, Beirut, dãr al-nahdah al-arabiyyah, 1985.

Barjãwĭ, Sa'ĭd Ahmad: al-hurûb al-salĭbiyyah fi al- mašriq, Beirut, dãr al- afãq al- jadĭdah,1984.

Ibn Al-Athĭr: al- kãmil fĭ al- tãrĭkh, vol 8, Beirut, dãr al- kitãb al- Arabĭ, 4th ed., 1983.

Ibn Al-Sããtĭ: dĭwãn Al-Sããtĭ, tahqĭq Anĭs al-Maqdisĭ, Beirut, matba't al-jamia'h al-Amrĭkiyyah, 1938.

Ibn Šadãd: al- nawãdir al- sultãniyyah, tahqĭq Jamãl al-dĭn Al- Šaiyyãl, al- dãr al- misriyyah li al- ta'lĭf wa al- tarjamah, 1st ed., 1964.

Ibn Sanã Al-mulk: dĭwãn Ibn Sanã Al-mulk, aitanã bitashĭhih wa al- ta'lĭq a'layih Muhammad Abd Al-Haq, Al-hind, matba't majlis al- maãrif al-Authmãniyyah, 1st ed., 1985.

Kĭlãnĭ, Muhammad Sayyid: al-hurûb al-salĭbiyyah wa atharuhã fĭ al-a'dab al-arabĭ, Misr, dãr al- furjãnĭ, 1984.

Mujãhid, Ahmad: aškal al-tanas al-šiarĭ, , Misr, al-haya'a al-misriyyah al-ammah li al-kitab, 1998.

Mûsã, Ibrãhĭm Nimir: šiar al-harb fĭ al-asr al-ayyûbĭ, Ibn Sanã al-mulk unmuthajan, Ramallah, dãr al- bayraq al-arabĭ, 1st ed., 2007.

Sa'ĭd, Khãlida: harakiyyat al-ibda', Beirut, dãr al-awdah, 2nd ed., 1982.